

هو أن يقوم الشاعر بنظم قصيدة يتفاخر فيها بقبيلته يُمجدها ويدافع عنها ويتعرض لخصومها من القبائل الأخرى، وينبري له شاعر تلك القبيلة ليرد عليه بقصيدة وبنفس الوزن والقافية. خلفت مصادر الأدب ودواوين الشعراء قبل الإسلام بمناقضات شعرية كثيرة حدثت بين إمريئ القيس وعبيد الأبرص ، وعامر بن الطفيل ، وزيد الخيل وغيرهم وفي عصر صدر الإسلام وقف فريقان متناقضان ، الأول فريق الإسلام الذي كان يستخدم معاني إسلامية متأثرة بالدين الحنيف ، والفريق الثاني فريق الشرك والكفر وكانت معانيه جاهلية قبلية . يقف الباحثون في ميدان النقد والأدب عند العصر الأموي كثيراً ولا سيما أمام فنين أدبيين ظهرا بشكل متميز في هذا العصر فشغلا بيئتين مهمتين من أقاليم الدولة العربية الإسلامية ، فشاع الغزل في بلاد الحجاز بنوعيه العذري والصريح واشتهر في العراق فن النقائض ذلك الفن الذي استوقف العرب كثيراً لعودته بهم إلى الجاهلية التي لازالت تجري في عروقهم ، وأشهر أعلام هذا الفن جرير والفرزدق والأخطل ، إذ كان جرير قطب الرحى الذي يطحن عليه الداخلون غمار هذه المعركة الأدبية ولم يصمد أمامه إلا الفرزدق والأخطل إلا إن الموت كان إلى جانب جرير إذ توفي الأخطل في (95 هـ) والفرزدق في (111 أو 114 هـ) كما تذكر الروايات . الأسباب التي أدت إلى ازدهار النقائض في العصر الأموي لقد أثرت الظروف السياسية في تحديد مواقف الشعراء وتضاربت آرائهم بآراء الأحزاب السياسية التي نشأت في العصر الأموي الذين بدورهم اتخذوا من الشعراء دعاة لهم فتباروا الشعراء وتنافسوا في الدفاع عن أحزابهم كما أسلفنا سابقاً أن الجاهلية ما زالت تجري في عروق أهلها في هذه الفترة في منافراتهم وتفاخرهم بأمجاد قبائلهم والتي كانت تعني لهم الشرف والرفعة وكان هذا واضح جلياً عند جرير الذي كان يتحدث عن يربوع وقيس ، والأخطل عن تغلب وأيامها ولم يقفوا عند الجاهلية وحسب بل تضمن حديثهم فترة ما بعد الإسلام لان الشاعر كان متمسكاً بقبيلته وما تعنيه من أصالة وجذور لهذا الشاعر . إن الفتوحات الإسلامية الكبيرة في تلك الفترة أدت إلى دخول المدنية والتمدن إلى المجتمع البدوي والذي رافقه دخول الطرب والغناء واللهاو بالنسبة إلى مكة والحجاز أما الكوفة والبصرة الذين تمسكوا بالبدوية والذي بدوره جعل من سكان هذه المناطق يجدون في النقائض وسيلة لقضاء أوقات الفراغ والتسلية بما يلقيه الشعراء من شعر . من أهم العوامل العقلية التي تدخلت في صنع النقائض • نمو العقل العربي وتوسع مخيلته وخاصة في الحوار والجدل . وخاصة ما يتصل بأسباب المعيشة ، فلما نظرنا إلى نقائض جرير والفرزدق لوجدناها قائمة على هذا الأساس . وتمثلت في وجود الدوافع النفسية أو العاطفية للدخول إلى المنافسة الأدبية وإظهار البراعة والمهارة الشعرية . الأصول الفنية التي تقوم عليها النقائض وهو مناط النقائض ومحورها الأصلي الذي يقوم عليه نقض المعاني إفساد الشاعر ما يقره الأول ويكذب ما يدعي أو يضع آراءه ليقول من شأنه وأهميته ، وهذا الأصل جامع لطرق المناطق وهي على النحو الآتي . ويتناول بها الشاعران حادثاً أو موقفاً واحداً وكل شاعر يفسر بما يؤيد موقفه من الفخر والهجاء . • تكذيب الخصم وإظهار إدعائاته وهي أن يعالج الشاعر المناقض في نقيضته الموضوع نفسه الذي عالج خصمه 3- وحدة الوزن الموسيقي (البحر - العروض) أي أن تكون القصيدة الثانية على نفس قافية القصيدة الأولى ومعناه أن الشاعر الأول يكون حر الاختيار وذو مساحة واسعة في ترتيب قصيدته أما الشاعر الثاني فيكون مقيداً ليس لديه مساحة واسعة في قصيدته. النقائض من الفنون الشعر القديمة لأنها عرفت منذ العصر الجاهلي ، فقد كان شعراء القبائل المتحاربة يتراشقون بالشعر كما يتراشقون بالسهام ، فينتصر الشاعر بقومه ويرد عليه شاعر القبيلة المعادية ، ثم جاء الإسلام فدارت النقائض بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين فدافع شعراء المدينة عن الإسلام والمسلمين ودافع شعراء مكة عن دينهم الوثني ، وعلى الرغم من أن النقائض أيام الرسول صلى الله عليه وسلم تعد امتداداً للنقائض في الجاهلية إلا أن تغيراً قد أصابها من حيث الغاية إذا أصبحت دفاعاً عن عقيدة ومبادئ دينية بعد أن كانت دفاعاً عن أعراض القبيلة. ونقائض الإسلام لم تشتمل على فحش وجرح للأعراض وانتهاك للحرمان كالتى نتلمسها بشكل واضح في نقائض جرير والفرزدق والأخطل . ثم ازدهر هذا الفن ازدهاراً كبيراً وواسعاً في العصر الأموي وتحول إلى فن مستقل بذاته له أصوله وعناصره وأساليبه ومراميه وأبعاده الاجتماعية والسياسية فأحتل مكانة عزيزة وتبوأ منزلة في لوحة الشعر. وكانت الحياة في العصر الأموي صالحة لقيام مثل هذا الفن ، واستطاع أن يرجع إلى ما كان عليه في الجاهلية الأولى ، لذلك عاشت النقائض في ظله وسائرته إلى النهاية وبلغت في درجتها الفنية وآثارها الأدبية الاجتماعية منتهى ما بلغت في تاريخ الشعر العربي جمعيه ، وهذا ما يقودنا لأن نتبين أسباب النقائض في هذا العصر . لو رجعنا إلى العصر الأموي وبحثنا عن سبب انتعاش وتفجر النقائض في هذا العصر لوقفنا على أسباب خاصة وأسباب عامة . أهم هذه الأسباب السبب الاقتصادي فنقائض جرير والأخطل متأثرة به ، إذ أنها قامت على ما كان بين قيس وتغلب من المنافسة على أرض الجزيرة واستغلالها منذ نزلت قيس ففسرين أساءت جوار تغلب فوقف جرير والأخطل متناقضين. ومن الأسباب الخاصة أيضاً أن الظروف جعلت جريراً يقف في صفوف قيس ، وتصادف (إن

صح التعبير) أن عشيرته أسرع بالبيعة لابن الزبير ، وتصادف أن قتل مجاشعي الزبير بن العوام ، وتصادف أن لجأت النوار زوج الفرزدق حين غاضبته إلى الزبير فجعل الفرزدق يهجو جريراً. 1- السبب السياسي : وترجع إلى تشجيع الخلفاء أي حكام بني أمية لهذا الفن ولهذا الشعر بغية صرف الناس عن التفكير في السياسة ، وقد كان لهذا الجانب مظاهر شتى وصور عديدة فمثلاً ما فعل بشر بن مروان بجمع الشعراء على جرير ويغر بهم به وما كان ذلك من بشر إلا تأييداً لسياسة آل مروان. 2- السبب العقلي: وتعود إلى نمو العقل ومرانه الواسع على الحوار والجدل والمناظرة في النحل السياسية والعقيدية والفقه والتشريع . لفن النقائض وخصوصاً ما جرى بين جرير و الفرزدق والأخطل خصائص عديدة منها: لاختلاط العصبية القبلية بالسياسة ، فكانت النقيضة تخوض في مديح الخلفاء والولاة فأصبحت لا تحتوي على فخر وهجاء فحسب بل تحتوي على مديح وسياسة ، ويقدم الشاعر لكل ذلك ببكاء الأطلال ووصف الرحلة والنسيب ، فلجرير قصيدة رائية أكثر من خمسين بيتاً بدأها برثاء زوجته ووصف المطر ومديح أم حرزة ويبدأ البيت الرابع والعشرين فيها بهجاء الفرزدق فيقول : (الكامل) لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبیب يزار ولقد نظرت وما تمتع نظرة في اللحد حيث تمكّن المحفار أفام حرزة يا فرزدق عتيم غضب المليك عليكم القهار فيرد عليه الفرزدق بقصيدة طويلة يبدؤها بمقدمة طليية ثم بارتحال الطعائن ثم بالحكمة ، وفي البيت الثاني والعشرين يبدأ بهجاء جرير فيقول : (الطويل) تحن بزوراء المدينة ناقتي حنين عجول يبتغي البو رائم ويا ليت زوراء المدينة أصبحت بأحفار فلح أو بسيف الكواظم تحرك قيس في رؤوس لئيمة أنوفاً وأذاناً لئام المصالم إذ عاش شعراء النقائض في بيئة إسلامية، فدخلت المعاني الإسلامية في صلب النقائض فخراً وهجاء . الخاتمة من خلال دراستنا ولو لجانب بسيط من فن النقائض يتبن لنا ما يلي : أن فن النقائض فن قديم وجد منذ العصر الجاهلي وترعرع حتى وصل إلى عهد بني أمية، وجذبت إليه الشعراء . كما ونلاحظ أن هذا النوع من فنون الشعر يحتاج إلى شرائط من حيث اتحاد البحر والروي والمعنى. كما وقد عرفنا أقطاب هذا الفن في هذا العهد كيف استطاعوا تكريس شعرهم في سبيل الوصول إلى غايتهم. وأنه أفد العلماء في معرفة